

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

الدنيا وعَلِقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِلُغَةٍ مِنْ تِلْكَ اللُّغَاتِ فَعَلَّابَتٌ عَلَيْهِ وَاضْمَحَلٌّ عَنْهُ مَا سِوَاهَا لِبُعْدِ عَهْدِهِمْ بِهَا .

وَإِذَا كَانَ الْخَبَرُ الصَّحِيحُ قَدْ وَرَدَ بِهَذَا وَجِبَ تَلْقِيهِ بِاعْتِقَادِهِ وَالانْطَوَاءَ عَلَى الْقَوْلِ بِهِ .
فَإِنْ قِيلَ : فَاللُّغَةُ فِيهَا أَسْمَاءٌ وَأَفْعَالٌ وَحُرُوفٌ وَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُعَلِّمُ مِنْ ذَلِكَ الْأَسْمَاءِ (وَحْدَهَا) دُونَ غَيْرِهَا مِمَّا لَيْسَ بِأَسْمَاءٍ فَكَيْفَ خَصَّ الْأَسْمَاءَ وَحْدَهَا قِيلَ : اعْتَمَدَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ كَانَتِ الْأَسْمَاءُ أَقْوَى الْقُبُلِ الثَّلَاثَةِ وَلَا بَدَ لِكُلِّ كَلَامٍ مُفِيدٍ (مُنْفَرِدٍ) مِنْ الْأَسْمَاءِ وَقَدْ تَسْتَغْنِي الْجُمْلَةُ الْمُسْتَقْلَةُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِعْلِ وَالْحَرْفِ فَلَمَّا كَانَتِ الْأَسْمَاءُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْأُولِيَّةِ فِي النَّفْسِ وَالرَّتَبَةِ عَلَى مَا لَا خَفَاءَ بِهِ جَازَ أَنْ يُكْتَفَى بِهَا عَمَّا هُوَ تَالٍ لَهَا وَمَحْمُولٌ فِي الْحَاجَةِ إِلَيْهِ عَلَيْهَا .

قَالَ : ثُمَّ لِنَعِدَ (فَلَا نُنْقِلُ) فِي الْاِعْتِلَالِ لِمَنْ قَالَ بِأَنَّ اللُّغَةَ لَا تَكُونُ وَحِيَاءً وَذَلِكَ أَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَوَّلَ اللُّغَةِ لَا بَدَّ فِيهِ مِنَ الْمُوَاضِعَةِ .

قَالُوا : وَذَلِكَ بِأَنَّ يَجْتَمِعَ حَكِيمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَصَاعِدًا فَيَحْتَاجُوا إِلَى الْإِبَانَةِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمَعْلُومَاتِ فَيَضَعُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا سَمَةً وَلَفْظًا إِذَا ذُكِرَ عُرِفَ بِهِ مَا مُسَمَّاهُ لِيَمْتَّازَ عَنْ غَيْرِهِ وَلِيُغْنِيَ بِذِكْرِهِ عَنْ إِحْضَارِهِ إِلَى مَرَاةِ الْعَيْنِ فَيَكُونَ ذَلِكَ أَقْرَبَ وَأَخَفَّ وَأَسْهَلَ مِنْ تَكْلَافِ إِحْضَارِهِ لِبُلُوغِ الْغَرَضِ فِي إِبَانَةِ حَالِهِ بَلْ قَدْ يُحْتَاجُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَى ذِكْرِهِ مَا لَا يُمْكِنُ إِحْضَارُهُ وَلَا إِدْنَاؤُهُ كَالْفَانِي وَحَالِ اجْتِمَاعِ الضَّدِّينَ عَلَى الْمَحَلِّ الْوَاحِدِ (وَ) كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ لَوْ جَازَ وَغَيْرُ هَذَا مِمَّا هُوَ جَارٍ فِي الْاِسْتِحَالَةِ وَالتَّعَدُّرِ مَجْرَاهُ فَكَأَنَّهُمْ جَاءُوا إِلَى وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فَأَوْمَأُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا إِنْسَانُ (إِنْسَانُ إِنْسَانٌ) فَأَيُّ وَقْتٍ سُمِعَ هَذَا اللَّفْظُ عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَإِنْ أَرَادُوا سَمَةً عَيْنِيَّةً أَوْ يَدَهُ أَشَارُوا إِلَى ذَلِكَ فَقَالُوا : يَدُ عَيْنِ رَأْسٍ قَدَمٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ فَمَتَى سُمِعَتِ اللَّفْظَةُ مِنْ هَذَا عَرِفَ مَعْنَى هَذَا وَهَلُمَّ جَرًّا فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ .

ثُمَّ لَكَ (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أَنْ تَنْقِلَ هَذِهِ الْمُوَاضِعَةَ إِلَى غَيْرِهَا فَتَقُولَ : الَّذِي اسْمُهُ